232 - ـ فصل : الحذر من الإفراط في إظهار النعم .

قد ركب في الطباع حب التفضيل على الجنس فما أحد إلا و هو يحب أن يكون أعلى درجة من غيره .

فإذا وقعت نكبة أوجبت نزوله عن مرتبة سواه فينبغي أن يتجلد بستر تلك النكبة لئلا يرى بعين نقص .

ليتجمل المتعفف حتى لا يرى بعين الزحمة و ليتحامل المريض لئلا يشمت به ذو العافية .

و قد قال صلى ا عليه و سلم لأصحابه حين قدومه مكة و قد أخذتهم الحمى فخاف أن يشمت بهم الأعداء حين ضعفهم عن السعي فقال : [رحم ا من أظهر من نفسه الجلد فيرملوا] ـ و الرمل شدة السعي ـ .

و زال ذلك السبب و بقي الحكم ليتذكر السبب فيفهم معناه .

استأذنوا على معاوية و هو في الموت فقال لأهله : أجلسوني فقعد متمكنا يظهر العافية فلما خرج العواد أنشد : .

(و تجلدي للشامتين أيهم ... أني لريب الدهر أتضعضع) .

(و إذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع) .

و ما زال العقلاء يظهرون التجلد عند المصائب و الفقر و البلاء لئلا يتحملوا معى النوائب شماتة الأعداء و إنها لأشد من كل نائبة .

كان فقيرهم يظهر الغنى و مريضهم يظهر العافية .

بلى ثم نكتة ينبغي التفطن لها ربما أظهر الإنسان كثرة المال و سبوغ النعم فأصابه عدوه بالعين فلا يفي ما تبجح به بما يلاقي من انعكاس النعمة .

و العين لا تصيب إلا ما يستحسن و لا يكفي الاستحسان في إصابة العين حتى يكون من حاسد و لا يكفي ذلك حتى يكون من شرير الطبع .

فإذا اجتمعت هذه الصفات خيف من إصابة العين فليكن الإنسان مظهرا للتجميل مقدار ما يأمن إصابة العين و يعلم أنه في خير .

و ليحذر الإفراط في إظهار النعم فإن العين هناك محذورة .

و قد قال يعقوب لنبيه عليهم السلام { لا تدخلوا من باب واحد و ادخلوا من أبواب متفرقة } .

و إنما خاف عليهم العين فليفهم هذا الفصل فإنه ينفع من له تدبر